التي يضاهي حجمها ضعف « البرغزا » والتي قال عنها الدكتور مولنكراف انها اتقى من كل الحجارة المكتشفة حتى الآن

ان الجوهرة إكسلسيور (Exclsior) التي اكتُشفت في جاكرسفونتين في ايلول من العام الماضي كان وزنها قبل صقلها ٩٧١ قيراطاً وبعد صقلها وكسرها الى حجارة متعدّدة قدّر المثمنون اكبرها الذي يزن ٢٣٩ قيراطاً بمليون ليرة وحتى الان لم يُبَع . والجوهرة بيت (Pitt) التي تزن ١٣٦ قيراطاً سُرقت من قديم بـ ٤٨٠,٠٠٠ ليرة . والجوهرة بورتر رودس (Porter Rhodes) التي تزن ١٦٠ قيراطاً والجوهرة فيكتوريا التي تزن ١٨٠ قيراطاً سعر كل منهما بمائتي الف ليرة انكليزيّة فاي مبلغ يا ترى ندفع بالجوهرة كولينان التي هي اضعاف اضعاف هذه الجواهر

وقد طلبت ادارة المعدن ضمانة الجوهرة اثناء نقلها الى لوندن ٥٠٠,٠٠٠ ليرة والجوهرة هذه وزنها بعد صقلها سيكون ٣٠٢٤ قيراطاً . واماً وزنها كما هي الان فيبلغ ٣٠٣٣٧ قيراطاً

(المشرق) نشكر لمكاتبنا الاديب وصفهُ هذه النفيسة لقرّائنا . وهذا مما يذكّرنا بجوهرة اخرى اجلّ قدرًا ربّما جهل الانسان ثمنها فبخس حقّها ألا وهي نفسهُ الناطقة المكوّنة على صورته تعالى المخلوقة لتفوز سرمدًا بجنّة الخلد

فيا درّةً فوق الرابل أُلقيت وجوهرةً بيعت بابخس قيمة

اصل التنوين عند العرب

لحضرة مكاتبنا الفاضل الاب انستاس الكرملي

١ً اصل التنوين على رأي الافرنج

يعلم الكل ما لعلماء زماننا من الهمّة في درس اللغة العربيّة وآدابها وما يتعلّق بها . بل طرقوا سُبُلاً لم تكن لاحِبَةً قبلهم . من ذلك بحثهم عن اصل التنوين في هذه اللغة الشريفة فقرّروا هاتين النتيجتين وهما:

١ً ان اصل التنوين عند العرب « تَميم » اي ان اصل نون التنوين « ميمٌ » زائدة ساكنة كانوا يلحقونها آخر اللفظة ثم على تراخي استار الاعصار حوّلوها نوناً كما هو الامر في وقتنا هذا

٢ ان اصل هذه الميم مقطوع من كلمة « ما » التي هي من ادوات الابهام. فمي قولنا: « رَأَيتُ رَجُلًا » اصلهُ « رأيتُ رَجُلَ مَا » اي رايت رجلًا هو شيءٌ من الاشياء فلما حذفوا الالف مع حركة ما قبلها قالوا: « رَجُلَ مْ » اي « رَجُلَمْ » ثمَّ لمَّا حوَّلوا الميم نونًا قالوا « رَجُلَنْ او رَجُلًا » وكذلك الامر في قولنا: « اعطني كتابًا » فاصلهُ « اعطني كتابَ مَا » ثم صارت « كتابَ مْ » ثم « كتابَمْ » واخيرًا « كتابًا » ومعناه: « اعطني اي كتابٍ كانَ »

٢ انواع التنوين عند العرب

وقبل ان نستصوب هذا الرأي او نخطّئهُ يحسنُ بنا ان نذكر هنا انواع التنوين عند العرب نقلًا عن مُغني اللبيب. قال ابن هشام في حاشية الشُّموني (٢:٣) ما نصُّهُ: اقسامهُ ستة:

١ تنوين التمكين وهو اللاحق للاسم المعرَب المنصرف إعلامًا ببقائهِ على اصلهِ وانهُ لم يشبه الحرف فيُبنى ولا الفعل فيُمنع من الصرف ويسمَّى « تنوين الامكنيَّة ايضًا وتنوين الصرف » وذلك كزيدٍ ورجلٍ ورجالٍ

٢ تنوين التنكير وهو اللاحق لبعض الاسماء المبنيَّة فرقًا بين معرفتها ونكرتها ويقع في باب اسم الفعل بالباع كهَيهٍ ومَهٍ وإيهٍ. وفي العلم المختوم بويهِ بقياس نحو: « جاءني سيبويهٍ و« سيبويهٍ » آخرُ. واما تنوين رجل ونحوه من المعربات فتنوين تمكين لا تنوين تنكير. .

٣ تنوين المقابلة وهو اللاحق لنحو مُسلِماتٍ. جُعل في مقابلة النون في مُسلمين. وقيل هو عوض من الفتحة نصبًا ولو كان كذلك لم يوجد في الرفع والجرّ. ثم الفتحة قد عُوّض عنها الكسرة فما هذا العوض الثاني. وقيل هو تنوين التمكين ويردُّه ثبوتهُ مع التسمية كعرَفات كما تبقى نون مسلمين مسمًّى بهِ . . .

٤ تنوين العِوَض وهو اللاحق عوضًا عن حرفٍ اصلي او زائد او مضاف اليهِ مفرد او جملة فالاول كجَوارٍ وغواشٍ فانهُ عوض من الياء . . . والثاني كجَندَلٍ فان تنوينهُ عوض من الف جنادل . . . والثالث تنوين « كُلٍّ وبَعضٍ » اذا قُطعا من الاضافة نحو: « وكُلًّا ظلمنا منهُ الصلح ». و« فولَّينا بعضَهُم على بعض . . . ». والرابع اللاحق لإذْ في مثل: « وأنتم حينئذٍ منيعة ». ثم حذفت الجملة المضاف اليها العلم بها وجيء بالتنوين عوضًا عنها وكسرت الذال لالتقاء الساكنين

٥ وتنوين الترنُّم وهو اللاحق للقوافي المطلقة بدلًا من حرف الاطلاق وهو الالف والواو والياء وذلك في انشاد بني تميم. وظاهر قولهم انهُ تنوين يُحصِّلُ الترنُّم. وقد صرَّح بذلك ابن يعيش . . . والذي صرَّح بهِ سيبويهِ وغيره من المحقّقين انهُ جيء بهِ لقطع الترنُّم وان الترنُّم وهو التغني يحصل بحرف الاطلاق لقبولها لمدِّ الصوت فيها فاذا انشدوا ولم يترنموا جاؤوا بالتنوين في

مكانها (١ ولا يختص هذا التنوين بالاسم بدليل قولهِ: « وَذُولي ان اصبتُ لقدْ أصابَنْ » وقولهِ: « لمَّا تَزَلْ برحالنَا وكأنْ قَدِنْ ». [اي وكأن قد زالت]

٦ وزاد الاخفش والمروضيون تنويناً هو سادساً وسمَّوهُ « الغالي » وهو اللاحق لآخر القوافي المقيَّدة كقول رؤبة: « وقاتم الاعماق خاوي المُخْتَرَقْنْ » وسُمّي غالياً لتجاوزه حدّ الوزن ويسمّي الاخفش الحركة التي قبلهُ غلواً وفائدتهُ الفرق بين الوقف والوصل. وجعلهُ ابن يعيش من نوع تنوين الترنُّم زاعماً ان الترنُّم يحصل بالنون نفسها لانها حرف اغنّ ... وانكر الزجاج والسيرافي ثبوت هذا التنوين البتة لانهُ يكسر الوزن. وقال: لعلَّ الشاعر كان يريد « ان » في آخر كل بيت فضعُفَ صوتهُ بالهمزة فتوهَّم السامع ان النون تنوين. واختار هذا القول ابن مالك وزعم ابو الحجّاج بن مزروق ان ظاهر كلام سيبويهِ في المسمَّى « تنوين الترنُّم » انهُ نون عوض من المدَّة وليس بتنوين. وزعم ابن مالك في التحفة ان تسمية اللاحق للقوافي المطلقة والقوافي المقيدة تنويناً مجازٌ وانما هو نون اخرى زائدة ولهذا لا يختصّ بالاسم ويجامع الالف واللام ويثبت في الوقف

٧ وزاد بعضهم تنويناً سابعاً وهو تنوين الضرورة وهو اللاحق لما لا ينصرف كقولهِ: « ويوم دخلت الخِدْرَ خدْرَ (٢ عُنَيْزةَ » وللمنادى المضموم كقولهِ: « سلام الله يامطرٌ عليها » وبقولهِ أقول في الثاني دون الاول تنوين التمكين لانَّ الضرورة اباحت الصرف واما الثاني فليس تنوين تمكين لانَّ الاسم مبني على الضمّ

٨ وثامناً وهو التنوين الشاذّ كقول بعضهم: « هؤلاءِ قومُكَ » - حكاه ابو زيد ...

٩ وذكر ابن الخباز في شرح الجزولية ان اقسام التنوين عشرة وجعل كُلًّا من تنوين المنادى وتنوين صرف ما لا ينصرف قسماً برأسهِ. قال:

١٠ والعاشر تنوين الحكاية مثل ان تسمي رجُلًا « بعاقلةٍ لبيبةٍ » فانك تحاكي اللفظ المسمَّى بهِ اه

واذ قد مهّدنا كل ذلك حان لنا ان نُجيب على النتيجتين اللتين قرَّرهما المستشرقون فنقول:

١ لمَّا كون اصل التنوين « تميم » فهذا ممَّا لا نُحاجُّهم فيهِ اذ قد اتضح اليوم للعلماء ان المُندرجات المسماريَّة الخطّ قد اثبتت ان « التميم » كان معروفاً عند البابليين وقد ذكر الباحثون لقولهم هذا نصوصاً لا تُعدّ. واما التنوين فلم يشاهدوهُ سوى في لفظتين بابليتين وهما: « صَلْمِنْ أَنّنْ = صَلْمِم أنم » (Salmin annin) ومعناها:

---

١) يدلُّك هذا الكلام على انَّ الشعر وُضع للتغني بهِ بل وكانوا لا ينظمون الشعر الَّا ويتغنَّون بهِ

٢) وفي الاصل المطبوع: « ويوم دخلت الخدر عنيزة » وهو غلط لسقوط كلمة من البيت وانكسارهِ بها

« هذه الصورة » فاذا كتبناها بالتنوين الحالي (لانَّ الاقدمين كانوا يصوّرون التنوين بالحرف لا بالحركة) تكون هكذا: « صَلمٍ أنٍ ». واللفظة الثانية لَحَمُنْ Lahamun بالحاء = لَحَمٌ وهو اسم بابلي للاله . واماً في الاشوريَّة فلم يُرَ فيها اثرٌ للتنوين ولا للتسويم او التَّسييم (وتجوز اللغتان كما صرَّح بهما اللغويون)

ولا شكَّ ان وجود التنوين في العربيَّة عائد الى لغة اخرى ساميَّة قديمة نزح اهلها الى جنوبيّ الجزيرة فادخلتهُ فيها مع التسويم لاننا طالعنا عدة كتابات مكتوبة بخطّ المسند فاذا بعض اعلامها مختومة بميم واما ما كان بخلافها فهي بالنون . ثم انتشر التنوين شيئاً فشيئاً حتى عمَّ القبائل . كما سنذكره بُعيد ذلك

٢ واماً ان اصل هذه الميم مقطوع من كلمة « ما » التي هي من ادوات الابهام فممَّا لا نُسلِّم بهِ . وذلك لاسبابٍ منها : (اوَّلاً) انهُ اذا صحَّ هذا التعليل في العربيَّة فانهُ لا يصحّ في البابليَّة فليس للبابليين كلمة « ما » بهذا المعنى بل « مَنْمَنْ » (manman) ويقابلها بالعربيَّة « مَنْ » وبالفرنسيَّة (un certain, un quidam) او « مَنُّو » (mannu) ويقابلها بالعربيَّة « مَنْ » او « الذي » وبالفرنسيَّة (celui qui) . (ثانياً) اذا صحَّ هذا التعليل في الاسم فكيف يصحّ في النعت وكيف في الفعل والحرف على ما تقدَّم ذكره من وجود التنوين عند العرب في غير الاسم النكرة . فانَّ ضروبهُ كلها وان اختلفت اسماؤها عند النحاة فهي لا تزال ضروب تنوين او تنويناً صرفاً فكيف ذلك ؟

٣ رأينا في اصل التنوين العربي وغير العربي

وعندنا ان سبب وجود التنوين عند العرب هو من مسيس الحاجة في التكلم الى حرف الميم او النون في آخر اللفظة لكي يُسمع الحرفَ العليل او الحرف المصوّت الخاتم اللفظة التي يتلفظ بها . ولا يبعد من ان يكون الاصل في سبب ادخالهِ الوقف لا غير . اي حينما كان يقف المتكلم على آخر كلمة من عبارتهِ ريثما يتنفَّس او يستريح . ثم نُقل من الوقف الى الوصل . وامر نقل احكام الوقف الى احكام الوصل معروف عند العرب وغيرهم قديماً وحديثاً فلا عجب اذن بعد هذا في ما نحن بصدده ولهذا لا ترى الميم قد زيدت على اواخر جميع الكلم الواردة في الكتابات البابليَّة بل على بعض منها وهذا مما يدلُّك على اوَّل دخول التسويم في لغة البابليين

وعندنا ايضاً ان زيادة الميم او النون على آخر حرف من آخر كلمة من كلام المتكلم مأخوذ عن الطبيعة . وذلك لان الصدى يُعيد الينا لفظنا ويزيد فيه نوعاً من الغنّة على كل لفظة ولاسيّما على آخر لفظة من الكلام يُشبهُ ان يكون «ميماً» او «نوناً» وهذا التوهُّم او التخيُّل صحّ أو لم يصحّ فانهُ قد عمّ كل الامم حتى انها لما ارادت ان تضع لفظاً لتصوير هذا الفعل الطبيعي فعل الصدى او اعادة الصوت او الترتيل او الغنـاء اتخذت كلمةً فيها ميم او نون وذلك في اكثر اللغات . من ذلك في العربيّة «رنَّ وغنَّ ورنَّم» وما ضاهاها . وفي اللاتينية cantare, resonare وفي الفرنسيّة chanter, résonner وفي الانكليزيّة singing, song, sing, resound الى آخر ما هنـا من الشواهد العـديدة

وهذا القول لا يمنع وجود سبب آخر او عدّة اسباب تضافرت وتكاتفت في زيادة هذه الميم او هذه النون على اواخر الكلم . من ذلك مثلاً انهم استحسنوا زيادتها لكي تكون بمنزلة حاجزٍ او فاصل تفصل كل كلمة عن اختها من سابقةٍ ولاحقةٍ وتمنعها من ان تختلط بها كما هو الامر في الكتابة اذ تفصل كل كلمة عن اختها بشيء من الفسحة تبيّن انها كلمة مستقلّة بنفسها فكأنَّ مجيء هذه الميم او النون في آخر الكلمة يقول للسامع : « وهذه الكلمة انتهت هنا . او هذه لفظة غير اللفظة القادمة ولا مُتّصلة بها » . فيتيسّر على السامع ادراك كل كلمة بنفسها

ومن هذه الاسباب ان التميم او التنوين بمنزلة وقاية تقي حركة الاعراب من الضياع في الاسماع او من الاشتباه بحرف آخر اذ بزيادتهِ على آخر الكلمـة ينتفي الابهام والابهام في اذن السامع ويمتنع خلطها بغيرها . ولهذا لم يجيء التنوين في المبنيات في اوّل مبدئهِ او منشاهِ بل في المُعرَبات ثم تجوّزوا فيهِ وتوسّعوا حتى نقلوه الى المبنيات ايضاً . والتنوين او التميم لا يوجد في الاعلام الغير المصروفة لعدم تثقيلها بزيادة هذه النون اذ تكفيها غرابة جنسها ولغتها فتستغني عن ان تُثقَّل بشيء من الزوائد كل ذلك طلبـاً للخفّة على السمع والحفظ بخلاف الاعلام العربيّة او الاعجميّة الخفيفة اللفظ من مثل « لُوط ونُوح » فانَّ هذه تُصرَف لخفّتها وتلك تصرف لكونها مأخوذة عن لغة العرب فتكون خفيفة على السمع والحفظ فلا خوف عليها من الثقل

وهناك سبب آخر وهو انهم جعلوهُ اوّلًا في آخر الشعر او القـافية ثم نقلوه الى النثر . فقد جاء في خزانة الادب (١ : ٣٨) :

« قال عبد القاهر : فائدتهُ (اي فائدة تنوين الترنم) الايذان بانّ المتكلم واقفٌ لانهُ اذا انشد مثلًا والقوافي ساكنة صحيحة لم يُعلم أواصلٌ هو ام واقف . وانكر هذا التنوين الزجّاج والسيرافيّ فزعما ان رؤبة كان يزيد في اواخر الابيات « ان » فلما ضعف صوتهُ بالهمزة لسرعة الايراد ظنّ السامع انهُ نون »

وفي المقاصد النحويّة المطبوعة على هامش الخزانة (١ : ٣٨) :

« تنوين الترنم هو المبدل من حرف الاطلاق عوضًا من مدّات الترنم وهو الالف والواو والياء »

ومن الغريب ان سائر اللغات كاليونانيّة واللاتينيّة وما تولّد منهما من اللغات الفرعية كالايطاليّة والفرنسيّة والاسبانيّة التي يُرى في اواخر ألفاظها الميم او النون تكون دائمًا مسبوقة باحد حروف الاطلاق الثلاثة او بما يُقاربها اي e, eu, o, u ولا بُدَّ من امثلة على ذلك فاللاتين يقولون مثلًا : dominum, dominorum ; rosam, rosarum τὴν θύραν, τῶν θυρῶν ταῖν θύραιν, ; templum, templorum الخ واليونان يقولون وقالوا τὸν νεανίαν, τῶν νεανιῶν, τοῖν νεανίαιν الى آخر مـا ذكروه في كتبهم . وقال الفرنسيون rien, démonstration, pigeon, malin, coquin وغيرهـا . الّا ان اليونان والرومان جعلوا تلك الميم او تلك النون مع الحرف المصوّت الذي قبلهـا بمنزلة علامة الاعراب كما فعل العرب في تنويتهم اذ لا يخلو من حرف مصوّت قبلهُ قصير المدّة او طويلها من حركة او حرف . واما غيرهم فجعلوا هذه الميم او هذه النون مع ما يسبقها من الحرف المصوّت من طويل او قصير بمنزلة البناء

ومما يجدر ذكره في هذا الباب انني سمعتُ كثيرين من القرّاء والمغنّين من النصارى انهم يزيدون على الكلمة التي يقفون عليها « ان » كما كان يفعل رؤبة في شعره . وربّما وضعت النصارى اناسًا يُسمعون مثل هذا الحرف او هذه الغُنّة عند كل لفظة يقف عليها المتكلمون في مواسم الحفلات والاعياد المشهودة . ومن ذلك ايضًا ان جماعةً من سكان اللورين (Lorraine) اي في شمالها الشرقي تلحق ميمًا (m) في اواخر الكلم التي يقفون عليها ويظنّ احد الباحثين من علمائهم انها مقطوعة من mie=mica

ومعناها الفتاة او الشيء الزهيد يوازي الفتات فانهم يقولون مثلاً: je ne sais m اي ما اعرف عوضاً عن je ne sais pas du tout ويقولون nom اي أما؟ عوضاً عن n'est-ce pas

فلا جرم بعد هذا كلّه ان هناك دافعاً طبيعياً دفع معظم الامم واصحاب اللغات الى مثل هذا الامر الغريب في حدّ نفسه وهو ليس كذلك اذا ما فكّر به الانسان نعم التفكير. على ان بعض العرب لم يجترئ بهذا النوع من الوقف الذي عمّ اغلب القبائل والبطون بل اتخذوا نوعاً آخر منهُ ليسمعوا آخر الحرف من آخر كلامهم وذلك بتثقيل او تشديد الحرف الاخير المراد اسماعهُ. فقد انشد دهلب بن قريع (١:

كأنَّ مجرى دمها المُسْتَنّ قُطْنَةٌ من اجود القطنّ

قال الجوهريّ: ولا يجوز مثلهُ في الكلام (راجع التاج في قطن) لكنهم يكثرون من ذلك في اشعارهم. فقد قال آخر:

لقد خشيتُ ان ارى جَدَبًا في عامنا من بعد ما أخصبًا (٢

[مثل الحرير وافق القصبّا]

قال في اللسان بعد ان ذكر هذا الشاهد:

« رواه هنا بفتح الهمزة هو كأكرَمَ وأحسَنَ الّا انهُ قد يلحق في الوقف الحرفُ حرفاً آخر مثلهُ فيُشدَّد حرصاً على البيان ليُعلم انهُ في الوصل متحرّك من حيث كان الساكنان لا يلتقيان في الوصل فكان سبيلهُ اذا اطلق الباء ان لا يثقلها ولكنهُ لما كان الوقف في غالب الامر انما هو على الباء لم يحفل بالالف التي زيدت عليها اذ كانت غير لازمة فثقّل الحرف على مثل من قال: « هذا خَالِدْ وفَرَجْ وعَمَلْ ». فلما لم يكن الضمُّ لازماً لان النصب والجرّ يُزيلانهِ لم يُبالوا بهِ. قال ابن جنّي:

---

١) ذكر هذا البيت الجوهري في مادة ق ط ن ونسبهُ الى دَهْلَبَ بن قُرَيع. وبكذا قال التاج في المادة المذكورة. اما صاحب لسان العرب فقد نسبهُ الى جندل في مادة جدب. والتاج نسبهُ في مادة وخش نسبهُ الى دَهْلَب بن سالم القُرَيعيّ واما اللسان فنسبهُ الى دهلب بن قُرَيع في المادة المذكورة. وهو الرأي الصواب. فاحفظ كل ذلك

٢) وروى التاج واللسان: « في عامنا ذا بَعْدَما اخصبّا » واما تتمة البيت فقد ذكره صحيط الحيط والتحاة

وحدثنا ابو علي ان ابا الحسن رواهُ « ايضاً بعد ما إخمأَ » بكسر الهمزة وقطعها ضرورةً واجراهُ مجرى « اخضرَّ وازرقَّ » وغيره من افعلَّ وهذا لا يُنكر . . . » اه المقصود من ايرادهِ

وقال اللسان في مادة جدب ما يزيد هذه القضيَّة وضوحاً وجلاءً ونوراً بعد ايرادهِ البيت المذكور ما هذا حرفهُ :

« فانهُ اراد « جَدْبًا » فحرَّك الدال بحركة الباء وحذف الالف على حدّ قولك « رايتُ زَيْدْ » في الوقف . قال ابن جني : القول فيهِ انهُ ثقَّل الباء كما ثقَّل اللام في عيهلّ في قولهِ : « يازلِ وَجْنًا » او « ميهلِ » فلم يمكنهُ ذلك حتى حرَّك الدال لمَّا كانت ساكنةً لا يقع بعدها المشدَّد . ثم اطلق كاطلاقهِ « عَيْهَلّ » ونحوها . ويُروى ايضاً « جَدْيًا » وذلك انهُ اراد تثقيل الباء والدالُ قبلها ساكنة فلم يمكنهُ ذلك . وكرِه ايضاً تحريك الدال لانَّ في ذلك انتقاض الصيغة فاقرَّها على سكونها وزاد بعد الباء ياء أُخرى ضعفةً لاقامة الوزن . فان قلتَ : فهل تجد في قولهِ « جَدْبَبًا » حُجَّةً للنحويين على ابي عثمان في امتناعهِ مما اجازوه بينهم من بنائهم مثل قَرَرْدَق من ضَرَبَ ونحوه « ضَرَبَّبٌ » . واحتجاجه في ذلك لانهُ لم يجد في الكلام ثلاث لامات متعادلة على الاتفاق وقد قالوا جَدْيًا كما ترى فجمع الراجز بين ثلاث لامات متفقة . فالجواب انهُ لا حجَّةَ على ابي عثمان للنحويين في هذا من قبل انَّ هذا شيءٌ عرض في الوقف . والوصلُ مزيلهُ . وما كانت هذه حالهُ لم يحفل بهِ ولم يتَّخذ اصلاً يقاس عليهِ غيرهُ . ألا ترى الى اجماعهم على انهُ ليس في الكلام اسم آخره واوٌ وقبلها حركة . ثم لا يفسد ذلك بقول بعضهم في الوقف « هذه أَقْمَوْ » « وهو الكَلَوْ » [في « هذه افعى » و « هو الكَلأ »] . من حيث كان هذا بدلاً جاء بهِ الوقف وليس ثابتاً في الوصل الذي عليهِ المعتمدُ والعملُ . وانَّما هذه الباء المشدَّدة في « جَدْيًا » زائدة للوقف وغير ضرورة الشعر . ومثلها قول جندل :

جاريةٌ لبست من الوَحْشِنّ لا تلبسُ المِنطَقَ بالمِتْنَنّ
الّا بِبَتٍّ واحدٍ يَتَنّ كأنَّ مجرى دمها المُسْتَنّ
قُطْنُتُّهُ من اجودِ القُطْنّ

فكما زاد هذا هذه النونات ضرورةً كذلك زاد الباء في جَدْيًا ضرورةً ولا اعتداد في الموضعين جميعاً بهذا الحرف المضاعف قال : وعلى هذا ايضاً عندي ما انشده ابن الاعرابي من قول الراجز :

« لكنْ رَعينَ القِنْعَ حيثُ ادهَمَّا »

اراد « ادهمّ » فزاد ميماً اخرى قال : وقال لي ابو علي في « جديًا » انهُ بنى منهُ فَعْلَلَ مثل قَرْدَدَ ثم زاد الباء الاخيرة كزيادة الميم في « الأَضْخَمّ » قال : وكما لا حجة على ابي عثمان في قول الراجز « جَدْبَبًا » كذلك لا حجة للنحويين على الاخفش في قولهِ انهُ يبني في ضَرَبَ مثل اطمأنَّ فتقول إضْرَبَبَّ . وقولهم : هم اضرَبَّ بسكون اللام الاولى يقول الراجز « حيثُ ادهَمَّا » بسكون الميم الاولى لانَّ لهُ ان يقول ان هذا انَّما جاء لضرورة القافية فزاد على ادهمّ وقد تراه ساكنَ الميم الاولى ميماً ثالثة لاقامة الوزن وكما لا حجة لهم عليهِ في هذا كذلك لا حجَّة لهُ عليهم ايضاً في قول الراجز :

انَّ تَكُلْ وانَّ شَكَلْتَ (١ شَكَّ فالزمِ الحَفْصَ واخفضِ تَبَيْضَضِ

بتسكين اللام الوسطى لان هذا ايضاً انما زاد ساداً وبنى الفعل بنية اقتضاها الوزن . على انَّ قولهُ « تَبَيْضَضِ » اشبهُ من قولهِ « ادهَمَّسَا » لان مع الفعل في « تبيضضي » الياء التي هي ضمير الفاعل والضمير الموجود في اللفظ لا يُبنى مع الفعل الّا والفعل على اصل بنائهِ الذي أُريد بهِ . والزيادة لا تكاد تعترض بينهما نحو ضَرَبْتُ وقَتَلْتُ الّا ان تكون الزيادة مصوغة في نفس المثال غير منفكّة في التقدير منهُ نحو : تَلَقَّيْتُ وتجَنَّبْتُ واحرَنْبَيْتُ وادلَنْطَيْتُ ومن الزيادة للضرورة قول الآخر :

بَاتَ يُقاسي لِلَهْنَّ زَمَّامْ والقَفْسَيُّ حاتمُ بنُ غَنَّامْ
مُسْتَرْعَفَاتٍ « لِصِلِلَّخْمِ » سَامْ

يُريد « لِصِلِّخْمٍ » كَمِلِّكٍ ومِلَقْسٍ وشِنَّخْفٍ . — قال : واما من رواهُ : « جِدَبَّا » فلا نظر في روايتهِ لانهُ الآن فِعَلٌّ كخِدَبٍّ ومِجَفٍّ » . اه كلام اللسان

وقد اوردنا نصّهِ على طولها لما فيها من الفوائد الجزيلة والعوائد الجليلة اذ نحصّل مما تقدَّم ذكره ما يأتي تقريره

ان قبائل العرب على اختلاف منازعها ومواطنها شعرت منذ القديم بحاجةٍ ماسَّةٍ الى اسماع الحرف الاخير من كلمهم حرصاً على البيان وتميزاً لبعض الالفاظ عن البعض الآخر ومنعاً لالقاء الابهام والابهام في ذوي الاحلام والافهام اذ قد يتّفق في عدَّة كلمات ان تتناسب اوائلها وتتباين اواخرها لانهُ إذا لم تتبيَّن هذه الاواخر اتمّ بيانٍ وقع الوهمُ واتتفى الفهم ولذلك اقتضى الحال ان يُزيلوا ما يوقع اللبس ويؤمن منهُ فاتخذوا وسائط جمة : منها ان منهم من ضعَّف الآخر وسكَّنهُ كما رأيت . ومنهم من ضعَّفهُ وحرَّكهُ كما ذكرهُ . ومنهم من ذيَّل اخره بنونٍ ثقيلةً كانت او خفيفةً وهذا يكثر في الشعر . الّا ان الذين حلّوا اخر كلامهم بهذه النون تأثروا في ذلك مَنْ سبقهم من قدماء العرب في زيادة الميم او النون على آخر الالفاظ تبياناً لنوعيَّة الحرف يعني زيادة نون التنوين او ميم التسميم . وهم بذلك ايضاً ضاهوا فعل الطبيعة عند اعادتها الصدى فانها تزيد على ما تلتقطهُ رنَّةً وغنَّة . وقد جاء ذلك في الشعر لكثرة ما يُترنَّم بهِ ولانهُ وُضع لهذه الغاية نفسها اي للتغنّي بهِ لان مزيَّة الغناء تناسبٌ في مقادير الانغمة والاصوات من جهة الطول والقصر كما تراه في الصوادح وفي جميع الحيوانات ذوات الغناء فانها اما ان تعيد نغمها ولحنها الخاص بها واما انها تغرّد تغريداً يظهر فيهِ حسن التأليف والايقاع . هذا

(١) وفي الاصل المطبوع شَكَك . وهو غلط

وحيث لا يوجد تناسب في المقادير فلا لحن هناك ولا نغم ولا حسن فيهِ . ولمَّا كان حرف التغنّي هو النون ومثلهُ بدلهُ الميم اتفق الجميع على اتخاذه اداةً لتزيين الآخر واسماعهِ جرياً على صنيع الطبيعة في الكون . وعليهِ فتميم وخصوصاً بطنٌ قُرَيع وكذلك قبيلة قيس كانت تكثر من استعمال هذه النون وكلتاهما حفظت احسن حفظ لغاتٍ ولهجاتٍ قديمة ولاسيَّما بقيت فيهما هذه غريزة لسماع الحرف الاخير بوصلهِ بالنون

وعليهِ فميم التسييم او نون التنوين على اختلاف ضروبهِ ليست بمقطوعة من كلمة « ما » او « مَنْ » او غيرهما . بل هي زيادة او اداة غنائية وبيانيَّة معاً لتبيّن اواخر الكلم . ولا جرم ان هذه النون هي صورة اصل التنوين في اول استعمالهِ وفي اول نشوئهِ بين العرب وهو هو التنوين الاصلي زادوه على آخر كل كلمة لان كل كلمة تحتاج الى ان تُعرَف بكليتها اسماً كانت او فعلاً او حرفاً بل وذيَّلوا بها جميع الاسماء حتى الاعلام نفسها كما وردت امثلة ذلك في الكتابات المكتشفة حديثاً في بلاد اليمن والمحفورة بالخط المسند وكذلك في الاسماء المعرَّفة بأل . فقد جاء في كتاب خزانة الادب (١ : ٣٤) في شرح هذا البيت :

اقلّي اللومَ عاذلَ والعتابَنْ وقولي ان اصبتُ لقد اصابَنْ

ما هذا نصُّهُ :

« ان تنوين الترنم يلحق الفعل والمعرَّف باللام وقد اجتمعا في هذا البيت والفعل سواء كان ماضياً ومضارعاً . . . قال الشارح ولم يُسمَع دخولها الحرف ولا يمتنع ذلك في القياس . اقول : قد سُمع في الحرف ايضاً كما مثَّل لهُ شُرَّاح الالفيَّة بقول الشاعر :

أقِدَ (١ الترحُّلُ غير انَّ ركابنا لمَّا تَزَلْ برحالنا وكأن قدِنْ

ولحاق هذا التنوين لما ذكر انَّما هو عند بني تميم كما قال الشارح وعند قيس ايضاً كما قالهُ ابن جنّي في سرّ الصناعة » اه

الَّا ان العرب وضعوا بعد ذلك احكاماً لتعيين موطن واستعمال وحذف تلك الميم او تلك النون من بعض الالفاظ استثقالاً لها في بعض امكنةٍ واستخفافاً لها في امكنةٍ أُخرى غير ان بعضهم بقي مصرّاً على استعمالها الاوَّلي واحتفظوا ايضاً بامور اخرى جمَّة فامتازوا بها عن سائر قبائل العرب حفظاً للقديم على قدمهِ ولم يتساهلوا

١) وفي رواية ازِف وهو بمعنى واحد اي دنا وقَرُب

قط في استقصال ما كانوا قد طُبعوا عليهِ من لهجتهم وما سمعوا من آبائهم فحفظوا لنا أمورًا لغويَّة عديدة اطلعنا على اسرار كثيرة قديمة

٤ ابدال الميم من النون عند العرب

قد سبقنا فقلنا ان اصل التنوين تويم اي ان اصل النون الزائدة في اواخر الكلم ميمٌ كما لا يخفى. ولا ريب في ان إبدال الميم من النون امرٌ قديم العهد عند العرب ثم شاع بينهم التنوين وضعف انتشار التمويم بين ظهرانيهم حتى عمَّ جميع افراد القبائل

لمَّا الشواهد على ابدال الميم نونًا فكثيرة سواء كان هذا الابدال في الصدر والحشو او العجز. فمن شواهد ما ورد في الصدر: المِنْعُ والنِّمْعُ الشمال. وامتُقع لونهُ وانتُقع. والحَجْر والنَّجَرَ (١ ان يكثر شرب الماء ولا يكاد يروى. ومخَجْتُ بالدلو ومخَجْت اذا جذبت بها لتستلي. والمدى والندى الغاية (المزهر ١: ٢٢٥). ومن امثلة ما ورد في الحشو بعيرٌ دهامج ودهانج: اذا قارب الخطو واسرع (المزهر في المحل المذكور). وجاء في هامش خزانة الادب (٤: ٥٨١) يُقال في عَنبَر «عمبَر» وفي حنظل «حمظل» وغير ذلك. واما ما ورد ابدالهُ في العجز فكقولهم: طابَهُ الله على الخير وطامهُ يعني جبلهُ. والأَنِم والأَيْن الحيَّة (المزهر ١: ٢٢٢). ورُطَب مُحلقَم ومُحلقَن اذا بلغ الترطيب ثلثي البسرة. والحَزْن والحَزْم ما غلظ من الارض. واسود قاتم وقاتن (المزهر ١: ٢٢٥) والتَّمْنُ والتَّمْمُ . . . قال الازهري: والعرب تعاقب الميم والنون في حروف كثيرة لقرب مخرجيهما (التاج). وامتُقع لونهُ وانتُقع (اللسانين). والخَنجَرير والخَنجَرير وهو الماء المرّ الثقيل وقيل هو المِلح جدًّا (التاج وسائر اللغويين). الى آخر ما هنالك من الامثلة العديدة والاجدر بالذكر مما بقي منها كلمة معرَّبة عن الرومية وهي الوساطون المنقولة عن (rosatum) اي الرُساطوم بضم الراء وميم في الآخر وهذه لم ترِدْ في احد كتبهم. اما الرساطون فقد جاءت في كتبهم ودواوين لغتهم ولا غرو انها دخلت على ايدي العرب المجاورة لليونان كالغساسنة والتغالبة. وقد ورد في التاج لغة ثانية فيها وهي الرشاطون بشين مثلثة فوقيَّة

واما لغة اي قبيلة كانت هذه اللغة فهذا ما لم يذكرهُ الباحثون بل عمَّموا قولهم كلَّ

---

١) وفي الاصل المطبوع والخر والنخر وهو غلط واضح

مرّة وقع الكلام على هذا البحث ولعلّ عدّة قبائل كانت تفعل ذلك . على انهُ يمكننا القول بان القبائل التي كانت تخالط اليونان كثيرًا ما كانت تبدل الميم نونًا لاسيّما في اواخر الكلم جريًا على عادة اليونان فان هؤلاء الاقوام يكرهون لشدّة الكراهية وجود الميم في المواطن المذكورة بخلاف الرومان فانهم كثيرًا ما يبدلون النون الخاتمة الالفاظ المأخوذة عن اليونان بميم . ولاجرم ان التغالبة والغسانة كانت من عداد هذه القبائل وكانت التغالبة تقول في الغَيْم الغَيْن قال في التاج : « الغين الغيم وهو السحاب لغة فيه . وقيل النون بدلٌ من الميم . انشد يعقوب لرجلٍ من بني تغلب يصف فرسًا :

كأني بينَ خافيتَيْ عُقابٍ يُريد حمامةً في يوم «غَيْنِ»

اي في يوم «غَيمٍ» اه

الخلاصة

اصل التنوين على اختلاف انواعهِ تمويمٌ . وقد ادخلهُ العرب على كل كلمةٍ من كَلِمهم فعلًا كان او اسمًا او حرفًا . ومهما كان هذا الفعل ماضيًا او مضارعًا او امرًا . وكذلك مهما كان الاسم عَلَمًا او نكرةً عربيًّا او اعجميًّا . ومهما كان الحرف ساكن الآخر او متحرّكهُ . وانّما استحبَّ العرب هذه الزيادة وابقاءها في ألفاظهم اقتداء بفعل الطبيعة وحرصًا على إبانة الحرف الاخير من الكلمة ومدًّا للصوت عند الوقف ثم نقلوه من الوقف الى الدَرْج او الوصل

ومن بعد ان عيَّنوا احكامهُ ومواطن اثباتهِ وحذفهِ لم يعودوا يتَّخذونهُ الّا في ما قرَّروهُ . واول ما جرَوا على هذه الضوابط والقواعد في شعرهم قبل ان يجروا عليها في نثرهم طلبًا لخفَّة الوزن وتيسيرًا لحفظهِ

واما قول الذين يذهبون الى ان الميم او النون مقطوعة من كلمة « ما » الابهامية او « مَنْ » من الضمائر او نحوهما فليس من الآراء السديدة ولا يستند على ركن مكين . هذا هو رأينا في هذا الموضوع ولكلّ ان يتبع ما هو اقرب الى الصواب والسلام